بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين

لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين

نحن مقبلون على شهر رمضان[1]، شهر رمضان شهر التغيّر وشهر التوبة وشهر الاستغفار، في رواية يرويها الحر العاملي رضوان الله عليه في باب التهيؤ لشهر رمضان، أن أبا الصلت أتى الإمام الرضا (ع) في آخر جمعة من شهر شعبان (**دخلت على أبي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) في آخر جمعة من شعبان، فقال لي: يا أبا الصلت إن شعبان قد مضى أكثره وهذا آخر جمعة منه، فتدارك فيما بقي منه تقصيرك فيما مضى منه، وعليك بالإقبال على ما يعنيك وترك ما لا يعنيك، وأكثر من الدعاء والاستغفار، وتب إلى الله من ذنوبك ليقبل شهر الله عليك وأنت مخلص لله عز وجل** ...) (وسائل الشيعة ٣٠١/١٠)

كما تعلمون أن الاستغفار يختلف باختلاف الأشخاص، الشخص لا يمكن أن يَصلح ويكون مؤمنا إلا أن يستغفر الله عز وجل، يعني قبل ذلك يعرف السيئات ويعرف الحسنات، يقرر أن يترك السيئات ويُقبل على الحسنات، يقرر هذه التوبة، السيئات والحسنات تختلف باختلاف الأنظار، والاستغفار يختلف باختلاف الأنظار، شخص يرى أن السيئة فقط المحرمات المذكورة في الرسائل العملية فيستغفر الله منها، والحسنات هي عبارة عن أعمال محددة مذكورة في الكتب أو التي تتداول بشكل عام، استغفار هذا الشخص يختلف عن استغفار رسول الله (ص)، في رواية –بهذا المضمون– أن رسول الله (ص) كان يستغفر الله في كل يوم سبعين مرة[2]، ما كان يستغفر منه رسول الله (ص) قطعا يختلف عن السيئات التي يستغفر منها الإنسان العادي، جربت أنك بالتدريج كلما زادت معرفتك بوجه الله ومعرفتك بالدين، معرفتك برسول الله (ص) ومعرفتك بأئمتك (ع)، كلما زادت هذه المعرفة نظرتك توسعت –نظرتك إلى الحسنات والسيئات الفقهية بقيت ولم تتغير، يعني الزنا بقي محرما، الغيبة بقيت محرمة، الكذب بقي محرما، والسرقة بقيت محرمة وأمثال ذلك–، ولكن بدأت ترى سيئات في السابق ما كنت تراها سيئات، بل بعض الأشياء التي أصلا ما كنت تبالي بها الآن تخاف منها وتراها خطرة وضارة جدا

حينما نقول شهر رمضان شهر عظيم، شهر غفران الذنوب، كثير من الناس يتلقون هذا كعنوان أن

---

(١) تحدث السيد محمد علي الباقري (حفظه الله) بهذا الحديث في مسجد البلوش يوم الجمعة بتاريخ ٢٥ شعبان ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٧/١٢/٢٦م، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة.

(٢) في أصول الكافي (٢٧٦/٢)

شهر رمضان شهر عظيم تُغفر فيه ذنوب الشخص وسيئاته، بينما هذا الشهر شهر العَوْد، نهاية شهر رمضان يكون العود إلى الله، حتى إذا شخص فهِمَه واعتقده واهتم به بهذا المقدار أن الناس يتوبون ولا يرتكبون المعاصي بشكل عام، هذا فهِمَه، يعني الاستفادة من شهر رمضان هي قراءة القرآن، قراءة الأدعية وإحياء بعض الليالي أو مقدارا من كل ليلة وكذلك الابتعاد عن بعض الأشياء، أنت إن شاء الله تعمل هذا لكن هذا ليس فقط هو المطلوب، حينما تفكر أو تقرأ أنه شهر عظيم شهر الله عز وجل، شهر ليلة القدر، شهر غفران الذنوب، الشهر الذي ينتهي إلى العيد، العيد الذي يُكبَّر الله فيه، يعني الشخصية تصبح شخصية بدأت تكبر الله بالواقع وإلا القول باللسان لا قيمة له، شهر رمضان الآن شهر مغفول فيه هذه المسألة، وهذا أنت تجده بدرجة

لا تفكر فقط أنه أنا أريد أن أقرأ القرآن كثيرا في هذا الشهر، نعم في بعض الروايات (**أن شهر رمضان هو ربيع القرآن**) (أصول الكافي ٣٤٨/٢)، وفي بعض الروايات أنه يوجد اهتمام بالإكثار من قراءة القرآن الكريم في شهر رمضان بالذات لأن أساسا القرآن نزل في شهر رمضان، لكن يفترض أن قراءتك للقرآن تختلف عن قراءة الإنسان العادي، في تلك الرواية أنه (**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وعن حبنا أهل البيت**) (الخصال ص٢٥٣)، هذا رأس مالك أنت، هل صرفت مقدارا من عمرك لمعرفة دينك لمعرفة وجه الله عز وجل؟ لا تفكر بأن حالك كحال الناس الآخرين، المفروض أنك أنت مختلف عن هؤلاء، (**من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن**) (أصول الكافي ١٤١/٢)، الإنسان يجب أن يعرف حسناته وسيئاته، المسألة ليست هي مسألة أنه أنت ترتب وتنظم وضعك بحيث أنه تقرأ القرآن كثيرا في هذا الشهر، تختم القرآن أو تبتعد عن بعض مجالس اللهو، هذا جيد لكن أنت لابد أن تفكر في نطاق أوسع

أضرب مثالا لتوضيح هذه المسألة، ذكرت في وقت سابق موقف أمير المؤمنين (ع) مع عاصم ابن زياد[٣]، عمل أعمالا معينة، هذه الأعمال في نفسها تعني الزهد، لو صحت الرواية أريد أن أستفيد منها، شخص يفعل شيئا ويرى أن أمير المؤمنين (ع) يفعل نفس الشيء، هو زاهد كذلك متقشف في ملبسه وفي مطعمه وفي حياته، لكن كم كان أمير المؤمنين (ع) يعاني؟ يخطط ويعاني حتى يبيّن أن هذا الذي تفعله ليس هو الذي أنا أفعله، هذا الذي تفعله له إمامة تختلف عن إمامة الزهد الذي أنا أفعله، كم هو صعب، أما الأشخاص الذين فقط يريدون أن يتباهوا بالحياة الدنيا من دون أن يتعقلوا أن عليهم مسؤوليات جسام تتطلب أن يقوم بها الإنسان، هؤلاء لا يهتمون بهذه الأشياء، أنت يهمك هذا الأمر أريد أن أوضحه

---

(٣) في نهج البلاغة ص٤٣٢

يُنقل في بعض الروايات أن رسول الله (ص) كان يتحدث قبل شهر رمضان، في أواخر شعبان كان يهيئ الناس لشهر رمضان، الناس كانوا يصومون، صيام شهر رمضان كان ينصب في أي مصب؟ في مصب الدين الذي له إمامة، إمامته كان يجسدها رسول الله (ص) مع فئة بطبيعة الحال، لأن شخصا واحدا لا يستطيع أن يجسد إمامة، حتى السيئات التي كانت تحصل في عهد رسول الله هذه السيئات إمامة رسول الله كانت تمحوها، تصححها، بعد وفاة رسول الله كانت توجد هنالك أعمال دينية لكن هذه الأعمال لا تصب في مصب إمامة الدين، هذا أنت تعرفه يعني إما تعرفه بنفسك أو إذا ذُكّرت تتذكر

شهر رمضان الآن موجود في كثير من المجتمعات، يعني عادة حتى الذين لا يصلون يصومون أوليس كذلك؟ إذن هذا الصوم موجود، كثير من المظاهر الدينية في شهر رمضان موجودة، صلاة العيد يُهتم بها وكذلك زكاة الفطرة وأمثال ذلك وإحياء ليالي القدر هذا موجود، لكن هذا أين يصب؟ فالأمور إنما توزن بميزانها والميزان هو الإمامة، سواء الإمامة الضالة أو الإمامة المهتدية لا فرق، الإمامة هي التي تسوق الأشياء وتنظمها وتجعلها في مسار معين أوليس كذلك؟ فالمسار يصبح مسارا ضالا أو المسار يصبح مسارا مهتديا، هذا أنت إن شاء الله تعرفه إجمالا، هذه هي المشكلة، هل أنت تشعر بهذه المسؤولية؟

ذلك هو الدين الذي عانى لأجله رسول الله (ص)، خرج إلى الطائف يدعو الناس ولم يستجب له أحد، رموه بالحجر أدموا قدمه الشريفة، ربي لك العتبى حتى ترضى[٤] كانوا يرمونه بأي شيء يقع بأيديهم ذلك الدين الذي كان أمير المؤمنين (ع) يتنفس لأجله دما، أنت حينما تقرأ خطب نهج البلاغة –هي ليست كل خطب أمير المؤمنين (ع)– تجد أنه هو لا يتكلم كلاما وإنما يخرج من مهجته دم قلبه، هذا الذي ينقل عن الإمام الحسين (ع) **(لم يبق منها إلا صبابة إناء أو خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت)** (تحف العقول ص٢٤٥)، ذلك الدين الذي المفروض يهدي العالم يقيم الإنسان بالقسط، الله وحده يصبح أكبر، هذا الدين أصبح بهذا الشكل! شخص ترى بأن أعماله دينية ولا يرتكب معاصي، يعمل الواجبات حتى يعمل المستحبات كذلك لكن شخصيته مؤتمة بإمامة غير إمامك، هذا يعصر قلبك هنا تشعر بمسؤولية تجاه شهر رمضان العظيم، تجاه ليلة القدر، تجاه الصيام **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)** (المائدة: ١٠٥)، فكرك، همك هكذا يتشعب يتحول إلى شجرة تستوعب العالم كله، أنت بمفردك لا تستطيع أن تفعل شيئا لكن تعيش همّ ذلك الإنسان الضال الذي أثَر ضلاله يظهر حتى على حياتك حتى لو كنت في مكان آخر، هذا تعيشه

---

[٤] في البداية والنهاية (١٧٦/٣)

شخصيتك تعيش نجدين، نجدا تبغضه تكرهه وتحاربه في قرارة نفسك وتتمنى يا ليتك تجد إماما لتندفع بكل وجودك لنصرته لتدمير هذا النجد وهدمه، ونجد خير تعيشه في قرارة نفسك وتتمناه، حينما تأكل تفكر فيه، تنام تستيقظ تفكر فيه، في قنوتك تدعو له، في تعقيبات صلاتك تدعو له، في ليالي القدر نفس الأدعية التي غيرك يدعو بها، أنت تدعو بنفس الكلمات لكن هي كلمات ككلمات علي (ع) لأن الهمة تكون مؤتمة بهمة علي (ع)، يعني توجد بيعة بينك وبين علي (ع)، هنا تشعر بثقل المسؤولية، كم هو صعب، صعب مستصعب، أناس يعملون الصالحات ويعملون بالدين كالمرعى الوبيل لا ينتج هدى، فأنت تتمزق لأن هذا الدين العظيم كيف بهذا الشكل يُتعامل معه منزوع عنه إمامته؟! هنا منطقك لا أحد يفهمه، آلامك لا أحد يتفهمها يقال لك لماذا أنت متأذ؟ هوِّن! أنت تعيش في عالم كهذا، وهذا العالم سوف يتغير، لو لم تعتقد بالفرج لتخليت، بنفس الملاك وبنفس الدرجة التي تشعر بثقل هذا الأمر على عاتقك تشعر بعز وتشعر بالارتباط بجميع الأنبياء بطول التاريخ، نوح تعرفه، إبراهيم تعرفه والنبي (ص) تعرفه، حتى إذا لم تتكلم بلسانك، معك معك يا رسول الله هذا واقع حالك

(لتعطفن علينا الدنيا بعد شماسها) هذا الدين سوف يحيا، وتكون إمامة الهدى هي العليا وهي التي تستقطب الصلاح فالصلاح هنا يتحول إلى حسنات تشرق الأرض بها، هذا سيحصل تسوَدُّ هنالك وجوه وتبيض وجوه **(لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها)** (نهج البلاغة: الحكمة ١٩٧)، **(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ)** (القصص:٥) تذكروا تفكروا، (كان أكثر عبادة أبي ذر (ره) التفكر...)[٥]، (تفكر ساعة خير من قيام ليلة)[٦]، عمل ليلة، إحياء ليلة، ساعة من التفكر تهز الإنسان وتجعله مهيأً لأن يكون عبدا لله صالحا

والحمد لله رب العالمين

---

[٥] في بحار الأنوار (٢٢ /٤٣١) نقلا عن الخصال

[٦] في بحار الأنوار (٧١ /٣٢٥) نقلا عن المحاسن